لواء أ.ح دكتور/ طـه السيـد
مستشار الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية
ومدير الأكاديمية الأسبق

مفهوم الجغرافيا السياسية

مقدمة :

الجغرافيا السياسية هى أحد العلوم الاجتماعية التى تجمع بين السياسة كعلم من العلوم الإنسانية وبين الجغرافيا كعلم من العلوم الطبيعية، والجغرافيا السياسية بمفهوم مبسَّط علم يعنى بالبحث فى «سياسة الجغرافيا وجغرافية السياسة»، ويشير مصطلح الجغرافيا السياسية إلى العلاقات تبادلية التأثير بين الجغرافيا والسياسة، كذلك يُشير إلى العلاقة بين الأقاليم كوحدات جغرافية سياسية بشرية وبين السلوك أو التفاعلات السياسية الداخلية والخارجية؛ فكثيرًا ما تَفرض الأبعاد الجغرافية نفسها على السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وفى الوقت نفسه قد تتأثر جغرافية الدولة بالعمليات السياسية على المستوى الداخلى أو بالتيارات والتحولات السياسية على المستوى الإقليمى والدولى، وبالتالى قد نجد أن امتداد بعض الأقاليم أو انحسارها هو مسألة ترتبط بطبيعة التفاعلات السياسية الداخلية أو الخارجية، بمعنى آخر فإن دراسة الجغرافيا السياسية هى فى جوهرها دراسة فى «سياسية الجغرافيا»، و«جغرافية السياسة»، وإذا كانت الجغرافيا بصفة عامة هى علم «دراسة الأرض»، فإننا يمكننا القول بأن الجغرافيا السياسة هى علم «سياسة الأرض»، أو هى العلم الذى يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات، وبينما تُركز الجغرافيا الإقليمية أو الطبيعية على التباين الأرضى بوجه عام، تُركِّز الجغرافيا السياسية على التباين الأرضى نتاج التفاعلات السياسية[١].

ولحداثة نشأة الجغرافية السياسية اختلف علماؤها فى تعريفها :

ريتشارد هارتشورن[٢]: فى كتابه الصادر عام ١٩٣٥ بعنوان «**طبيعة الجغرافيا**» يُعرِّفها هارتشورن بأنها: «علم دراسة الدولة كمساحة متميزة بالنسبة إلى غيرها من المساحات المتميزة الأخرى»، وفى كتابه بعنوان «وجهة نظر حول طبيعة الجغرافيا» الصادر عام ١٩٥٤م، يضع هارتشورن تعريفًا آخر ويصفها بأنها: «العلم الذى يهتم بدراسة التماثل أو التباين فى الشخصية السياسة للمساحات المختلفة، ويرى أن البحث فى الجغرافيا السياسية يقتضى النظر إلى الوحدات السياسية كأجزاء مترابطة فى كل مُركب[٣].

روجر كاسبرسن وجوليان مينجى[٤]: رَكَّزا اهتمامهما على دور الجغرافيا فى صياغة العلاقات الدولية، ومن هذا المنطلق يُمكن تفسير ماقد يطرأ على العلاقات الخارجية من تغيير، وعَرَّفا الجغرافيا

السياسية بأنها: «التحليل المكانى (الجغرافى) للظاهرة السياسية[٥]، أى ماهية الخصائص المكانية التى أثَّرت علـى الظاهـرة، وكيـف كان تأثيرهـا أى دراسـة الأبعاد المكانية للسياسة.

آيسـايابومان[٦]: يُعرِّفهـا بومـان تعريفًـا موجـزًا وناجـزًا، فيصـفها بأنهـا: «علم يسـاعد فى فهـم دوافع السلوك السياسى للإنسان[٧].

ويـرى البعض بأنها: «دراسـة الوحدات السياسـية أو الأقاليم السياسـية كظواهر على سطح الأرض وماتشتمل عليه من شـعوب وجماعات»[٨]، ويلاحَـظ هنا أن مجال دراسـة الجغرافيا السياسـية يتعدى تحليل العلاقات بين الجماعات البشرية والبيئة الداخلية إلى تحليل العلاقات الداخلية لهذه الجماعات.

ويـرى البعض أيضًـا أن الجغرافيـا السياسـية تقليديًا تعنى «علاقـة التفاعل المتبادَل بين الجغرافيا والسياسـة»، وقـد تطـورت مجالاتهـا لتشـمل دراسـة الوحدات السياسـية علـى أنها ظواهر سـطح الأرض، ودراسـة مقومـات وجودهـا وتطورهـا اعتمـادًا علـى خصائص البيئة الجغرافية[٩].

ويرىالبعض أنها: الدراسـة المستفيضة أو الوصف والتحليـل الدقيـق لجميـع معطيات وخصـائص الكتلة الحيويـة للدولـة/ المنطقـة المعنيـة بالدراسـة، أى خصـائص «الإقليم، الكتلة البشرية، النظام السياسى، والنخب المختلفة»، وتحديد مدى تفاعل هذه العناصـر مع بعضـها البعض، إذ تُعَد جميع هذه العناصـر، كلا واحدًا لا يتجزأ[١٠] .

وأرى أن هنـاك تعريفـات أخـرى عديـدة، فإنهـا مـع تعددها تنتهـى جميعًا إلـى معنى واحد مـؤداه أن الجغرافيـا السياسـية هـى فرع مـن فـروع الجغرافيا البشـرية وأن موضـوعها ومجالهـا هـو «الدولـة» أو «المساحة السياسـية» أو «الإقليم السياسى»، ولكل من هذه المسـميات حدود سياسـية (وإدارية فى داخلها) وظـروف بيئيـة طبيعيـة وبشـرية تتفاعل مع بعضـها لتنتهى إلى ظواهر سياسـية تُشـكل الدولة أو المساحة السياسية أو الإقليم السياسى.

مجال الجغرافيا السياسية:

مجـال الجغرافيا السياسـية هـو «الدولة..وعلاقاتها الداخلية والخارجية»، ولكل دولة كيان وملامحها الخاصة ولا توجـد فـى العالم دولتـان متشـابهتان تمامًـا، وتهتم الجغرافيـا السياسـية **بالمتغيرات والتطـورات** التى تحـدث كل يوم، وقـد يكون التغير أو التطـور داخليًا (من داخـل الدولة) كما حدث فـى إيران، وقد يكـون خارجيًا نتيجة غزو فكرى تسلل لها من الخارج كما حدث فى كوبا، أو فُرض عليها كما حدث فى أفغانستان[١١].

ديناميكية الجغرافيا السياسية:

ما دامت الجغرافيا السياسـية مجالها الدولة، فلا بد من تحديد عناصـرها، فلا توجد دولة فـى فراغ، ومعنى ذلـك أن **للدولـة عنصـرين الأول**: أرضـ ذات حدود سياسية، **والثانى**: السكان، ويضاف لهم العنصر **الثالث**: وهو العلاقات بينهما، فالعنصران الأول والثانى يتميَّزان بالتنوع، أما الأخير فيتميَّز بالتعقيد لأنه متغير ديناميكى، ومـن ثَمَّ نُـدرك تمامًـا أن الجغرافيا السياسـية هى علم ديناميكى متطور[١٢].

أهداف الجغرافيا السياسية:

يمكن إيجاز أهداف الجغرافيا السياسية فى **هدفين**: **الأول** علمـى **والآخر** عملى تطبيقـى نفعى للمجتمع[١٣]. أمـا عـن الأول (العلمـى): فهى تقـوم بالتحليـل النقدى للوحدات السياسية بمختلف أنواعها وتحديد قوة كل منها، وتفسـير سـلوكها السياسـى الداخلى والخارجى تفسيرًا جغرافيًا موضـوعيًا، وكذلك تناقش الإجراءات السياسية والدبلوماسية التى تهدف إلى تشكيل الخريطة السياسية للعالم، وتقوم بتحليل الظاهرات السياسية تحليلًا مكانيًا (جغرافيًا) حياديًا غير منحاز مثلًا للصـراعات القومية داخل الدولة أو اضطرابات الفقراء وغيرها.

أمـا مـن ناحية الهـدف التطبيقى فهى تقـوم بإعداد الوثائق السياسية والدبلوماسية بصورة متناهية فى الدقة والموضـوعية، وتضـع الحلول التى اقتُرِحَت للمشـكلات السياسـية موضـع التنفيذ على الخرائط وفـى الطبيعة، وتقدم توصيات لحل المشكلات السياسية، وتوفر البيانات والمعلومـات الموضـوعية اللازمـة لاتخـاذ القـرارات السياسية والعسكرية ذات الأبعاد المكانية (الجغرافية).

وخلاصة القول إن الجغرافيا السياسية تُعَدُّ مصلحة استعلامات (*Information Service*) للحكومة ولهيئاتها الدبلوماسية، أى أداة تثقيف موضوعية للشعب عن المشكلات السياسية فى العالم.

أوجه الاختلاف بين الجغرافيا السياسية، والجيوبوليتيك (*Geo-politics*)[١٤]:

على الرغم من أن كلا منهما علم يدرس الوحدة السياسية فى ضوء البيئة الطبيعية، فالأولى أى الجغرافيا السياسية تأخذ بعين الاعتبار الوحدة السياسية، وتعنى بتحليل بيئتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية تحليلاً موضوعيًا، وتكتشف أثر ذلك على الأحداث السياسية والسلوك السياسى للدولة، أما الجيوبوليتيك فتقوم بالدراسة نفسها ولكن من وجهة النظر الخاصة للدولة ومطالبها فى مجال السياسة الخارجية، أى أنه نوع من الدراسة متأثرة بالنزعة الوطنية، وبمعنى آخر أن الجغرافيا السياسية عبارة عن دراسة موضوعية النزعة، أما الجيوبوليتيك فهى دراسة ذاتية النزعة[١٥]، وتنحصر أوجه الاختلاف بينهما فى الآتى[١٦]:

١- الجيبوليتيك تضع خُططًا لما يجب أن تكون عليه الدولة المتطورة فى مساحتها دائمًا، بينما الجغرافيا السياسية تصور كيان الدولة كما هو قائم فعلاً.

٢- الجيبوليتيك تنظر إلى حالة الدولة التى يجب أن تكون عليها فى المستقبل وترسم الخطط وتضع الاستراتيجيات لتحقيق ذلك فى المستقبل، بينما الجغرافيا السياسية ترسم صورة الدولة والعلاقة الداخلية والخارجية فى الوقت الحاضر وقد تُشير إلى المستقبل.

٣- الجيوبوليتيك تنظر إلى الدولة ككائن عضوى حيوى فهى لا تعترف بحدود ثابتة، بينما تعترف الجغرافيا السياسية بالحدود القائمة بالفعل.

المراجع :

(١) جمال سلامة على، حدود مصر.. دراسة فى الجغرافيا السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٦، ص ١٩.
(٢) جغرافى وأستاذ جامعى (١٨٩٩م- ١٩٩٢م) ، أشهر من كتب فى مجال الجغرافيا.
(3) Hartshorne,(Richard) Recent development in Politics geography American Science Rivewxxix.Dec 1935, P.957
(٤) أكاديميين أمريكيين.
(5) Roger Kasperson and Julian Minghi, The strueture of Political Geogaphy (New) Jersey, Transaction Publishers,2011, P.68-74.
(٦) جغرافى أمريكى (١٨٧٨- ١٩٥٠) عضو رابطة الجغرافيين الأمريكية والمجتمع الجغرافى الأمريكى .
(7) Bowman,Isaiah, The New World, Problems in Political Geography (South Carolina, Nabupress, 2011) P134-142.
(٨) محمد عبد الغنى سعودى، الجغرافيا السياسية المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ٢٠١٠م، ص ص ٤- ٦.
(٩)دلال محمود السيد، تأثير الجغرافيا السياسية لمصر على سياستها الخارجية ، بحث غير منشور، الأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية، ٢٠١٨م، ص١.
(١٠) مصـطفى كامل، التنافس الدولى الاسـتراتيجى وتأثيرة على المنطقة العربية (المخاطر- الأدوار- الأدوات)، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ٢٧.
(١١) محمد عبد المجيد عامر، دراسات فى الجغرافيا السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٢١
(١٢) محمد عبدالغنى سعودى، الجغرافيا والمشكلات الدولية، المكتبة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٦
(١٣)محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافيا السياسية منظور معاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٦م، ص ٤٥.
(١٤) أول مـن أطلـق كلمـة Geo-politics هو Rudolf Kjellen (رودلف كيليين) (١٨٦٤ – ١٩٢٢)، أسـتاذ التاريخ والنظم الحكومية، جامعة جوتنبرج بالسويد.
(١٥)محمد محمد إبراهيم الديب: مرجع سبق ذكره، ص ٧٤.
(١٦) محمد عبدالمجيد عامر، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.